دراسة بعض مظاهر النمو الإجتماعي للمراهق

١ ـ الصدق:

إن القرآن الكريم قد وضع للمجتمع الإنساني الأسس التي تضمن أن تسير فيه الحياة مسيرة طبيعية، فوضع الضوابط اللازمة للحد من الخروج على تلك الأسس وأرشد إلى كل ما يدعم أواصر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وجعل ذلك ديناً يثاب الفرد على فعله ويعاقب على تركه أو نقضه.

إن عملية التربية الإجتماعية للمراهق المسلم يجب أن تقوم على ضبط السلوك الفردي للمراهق وكفه عن الأعمال التي لا يقبلها المجتمع المسلم، وأن تشجعه على القول السديد والعمل الصالح لكي يعيش في وئام مع أفراد مجتمعه ويتفاعل معهم، ويكتسب حبهم واحترامهم، ولن يتحقق له ذلك ما لم يتوج شخصيته بجميل الأخلاق وكريم الخصال.

إن الصدق في القول والعمل آية من أخلاق القرآن الكريم، ودعامة أساسية لنهضة المجتمع وتقدمه وتماسكه، كما أن تحري الصدق في كل شأن والعكوف عليه في كل حكم يدفع عن المجتمع المسلم عائلة الظنون، وينبذ الإشاعات ويطرح الريب، لتبقى الحقائق

راسخة لا يغشاها ظن أو ريب ما دامت هكذا في نفوس أفراد المجتمع.

«والصدق كما يكون أصلاً في القول والحديث، يكون في أفعال الجوارح إذا كانت على وجهها من الحق والإستقامة والإخلاص، فهناك صدق في الطاعة إذا عمرها اليقين والإحسان، وهناك صدق في القتال، إذا توافر فيه خلوص النية لله عز وجل وهناك الصدق في أداء الواجب، إذا لم يقصر الإنسان في تبعة من تبعاته، أو حق من حقوقه، وهناك صدق الظاهر من حال الإنسان بحيث يكون موافقاً باطنه، ولذلك نستطيع أن نقول إن الصدق كما يكون في الأقوال يكون في الأعمال والأحوال»[1].

إن تحري الصدق يحتاج إلى إرادة وعزيمة قوية، والمراهق مولع في هذه الفترة بالظهور أمام أفراد المجتمع بالمواقف الرجولية، كمحاولة منه لتوكيد ذاتيته، فحين يتحلى بفضيلة الصدق يهدف إلى أن يكتسب اعتراف المجتمع بقوة شخصيته، لينزله مكانة اجتماعية طالما عمل لها.

إن تعلق هذه الرغبة السلبية التي قد تسيطر على شعور المراهق في كثير من موضوعات الصدق يكون علاجها تربوياً والإنطلاق بفضيلة الصدق في مسارها الصحيح، بأن تعني برامج التربية بالحث على فضيلة الصدق غير المشوب بالأهداف الدنيا، وبيان المفاسد الإخلاقية والإجتماعية الناشئة عن الكذب والظنون.

إن الصدق دعامة أساسية لشخصية المراهق المسلم، وصبغة ثابتة دائمة في أنماط سلوكه الإجتماعي، وعلامة على قوة إيمانه ويقينه.

---

(١) أخلاق القرآن (حـ ١ صـ ٤٦).

كما أن الكذب رذيلة تنبىء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك اجتماعي شاذ، يؤدي إلى فساد الحياة الإجتماعية واضطرابها.

«تبدو لنا حاجة المجتمع الإنسانية إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطراً كبيراً من العلاقات الإجتماعية، والمعاملات الإنسانية، تعتمد على صدق الكلمة فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم تجد وسيلة أخرى كافية تعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حاجاتهم، ونعرف بها حقيقة أخبارهم.

لولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الإجتماعية بين الناس، ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب، لندرك مبلغ تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده»[1].

ومن هنا كانت أهمية الإنذار القرآني بالبعد عن الظنون كائنة ما كانت، وبين أن الذين أقاموا حياتهم على الكذب أفسدوا حاضرهم وأضاعوا مستقبلهم.

قال الله تعالى:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2].

لذا وجدنا رسول الله ﷺ يدعو إلى الصدق ويحرض عليه، ويحذر من الكذب وينفر منه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها (جـ ١ صـ ٥٣٢).
(٢) سورة المنافقون آية: (١).

يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

ولقد امتدح الله الصدق والذين آمنوا لتحريهم له في أقوالهم وأفعالهم.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[2].

٢ ـ صلة الرحم:

يسعى المراهق المسلم إلى توسيع دائرة علاقاته الإجتماعية بين أفراد أسرته، ويعمل على توطيد المودة والمحبة اللازم توفرها بين الأهل والأقارب، ويؤكد أهميتها وضرورتها للإستقرار النفسي والترابط الأسري والإجتماعي، باعتبار أن العلاقات الأسرية نواة للعلاقات الإجتماعية العامة، والمراهق المسلم الواعي الناضج ينتهز المناسبات العامة التي تجمع بين الغالبية العظمى من أفراد الأسرة ومن تربطهم علاقات رحم أو مصاهرة، فينادي وسط هذا الجمع الحاشد من الأسرة بأهمية التزاور والترابط الدائم في كل وقت وحين، ليتم التعارف بين جميع الأجيال وتسود المحبة وتدوم المودة وتنمحي الفرقة.

إن المراهق قد يبدو مثالياً في كثير من مواقفه الإجتماعية، لكن مثاليته تعبير ذاتي عن دوافعه الإجتماعية التي يقرها المنهج الإسلامي في العلاقات الإجتماعية حيث جاءت صلة الرحم في المقام الثالث

---

(١) صحيح الإمام مسلم ـ كتاب البر ـ باب الصدق ويهدي إلى البر.

(٢) سورة الأحزاب آية: (٧٠، ٧١).

بعد الأمر بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به، ثم الأمر بالإحسان للوالدين، ثم الأمر بصلة الرحم وهم ذوو القربى ثم من دونهم.

قال الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾[1].

«فقد جاءت صلة الرحم في عداد المعالم الكبرى لهذا الدين الحنيف، من توحيد الله، وإقامة الصلاة، والتمسك بالصدق والعفاف، ومن هنا كانت صلة الرحم من أبرز مميزات هذا الدين التي تعرض على أسماع السائلين عنه لأول مرة»[2].

٣ ـ التعاون على البر والتقوى:

أن المراهق يعني في هذه المرحلة بالقضايا الإنسانية والحياة الإجتماعية، ويولي هذه القضايا العامة اهتماماً كبيراً، ويسعى جاهداً في بذل الخير ومد يد العون قدر استطاعته لذوي الحاجات، ويسارع في علميات الإنقاذ في حالة تعرض بعض الأفراد للمواقف الحرجة، وقد يندفع في سلوكه دون تقدير سابق للعواقب، كما يلوم بعض الأفراد الذين يتقاعسون أو يترددون في عمليات الإنقاذ، ويأخذ بيد الضعيف ويساعد المحتاج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا لم يجد في ذات يده ما يدفعه إليه فإنه يسعى بالمشاركة في جمع التبرعات من

---

(١) سورة النساء آية: (٣٦).

(٢) شخصية المسلم (صـ ١٠٩) د/ محمد على الهاشمي ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

القادرين، ويحض على اللطف في طلب الدين من المدين، وإن وسع ما في يده لسداد جزء مما هو مطلوب منه فعل، ويحض على المعروف ويشارك في فعله، وينهي عن المنكر قدر استطاعته واستعداد.

«التعاون عملية اجتماعية يرجع الفضل في ترويض الأفراد عليها إلى الأسرة أولاً ثم إلى البيئة الخارجية، لأن وحدة المصالح ووحدة الأهداف تؤدي بالأفراد إلى التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة والخير العام.

ويذهب بعض علماء النفس إلى أن التعاون ولو أنه علمية اجتماعية، غير أنه يستجيب مع بعض الدوافع الغريزية الكامنة في الطبائع الإنسانية، فقد أثبتت العلامة (جيل) في تحليله للنفس الإنسانية أنها تنطوي على طائفة من الغرائز الغيرية بجانب انطوائها على الغرائز الذاتية (الأنانية) وهذا يدلنا على أن حرص الإنسان على مصالح الغير لا يقل كثيراً عن حرصه على تحقيق رغباته الخاصة ومصالحه الذاتية[1].

إن التعاون في المنهج الإسلامي قد لا يكون له تعلق البتة بالمصالح الشخصية كما أن هذا المنهج قد يسمو بشخصية الفرد إلى مستوى الإيثار بأن يقدم مصلحة الغير على مصلحته الشخصية بل حاجته الضرورية في رضا وحب ورحابة صدر.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تبوَّءوا الْدَارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

---

(١) المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع (صـ ٢٥٩) د/ نبيل محمود توفيق السمالوطي ـ الشروق الجدة.

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

ولقد أمر الله المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى وأن لا يحجزهم عنه شنآن قوم صدوهم عن الهدى وعبادة الله والطواف بالبيت الحرام.

قال الله تعالى:

﴿... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢).

---

(١) سورة الحشر آية: (٩).

(٢) بعض آية من سورة المائدة آية: (٢).